

منوعة

رسالة حضارة وعاوین للروعة والأناقة زمن القفطان

عدسة : محمد سماع



والديباج، حتى الخياطين الذين يتكفلون بقدر القفطان وتفصيله على شكل وهينة تختلفان من منطقة إلى أخرى ومن زمن لآخر. فبعد تعاقب عمل الطرازة، والقيطوني يأتي دور المعلم الجماع الذي يشرع، معززا بمتعلمين ناشئين، في جمع بالأيدي لأجزاء القفطان المختلفة، متوسلين أنواعا مختلفة من القيطان. وفي كل مرحلة تتنافس أنامل محنكة وأيد ماهرة في إعطاء ثياب بسيطة روحا وشاعرية. كل قفطان بعد ذلك يخلد في سداه هذا التاريخ المجيد الذي بثه فيه هذا الصانع. بهذا ينسج القفطان في ثناياه ويعكس فنا كاملا للحياة. فكل مرحلة من مراحل العمر، كما هو الحال بالنسبة لكل طقس من طقوس الحياة (ميلاد، ختان، خطبة أو زفاف...) يجترح الفنان الصانع قفطانا معينا، بأسلوب معين والحقيقة أن هذه الأهمية الجمالية وهذا الإشعاع الحضاري لمنزلة القفطان داخل الثقافة المغربية، هو ما وعاه متحف فن العيش بمراكش. لذلك اختار، بمناسبة عرضه الافتتاحي، أن يكرم نساء ورجالا لطلما تناقلوا، عبر قرون، فنون توشيح الإنسان، باللون والطياف والتنوع امرأة كان أو رجلا أو طفلا. حيث يزدان القفطان به في كل مراحل العمر ومن طرف الزوجين معا الذكر والأنثى

وفي بلاغ توصلت "أصداء مراكش" بنسخة منه ذكر خلاله إدارة متحف فن العيش بمراكش تسعى من خلال التظاهرة أن المساهمة في التعريف الجيد بتاريخ هذا اللباس وتنوعه، وعبر بعمق الحضارة المغربية وأطيافها المتعددة ثقافيا وجماليا، والاحتفاء بالصانع الذين تناقلوا، جيلا بعد جيل، رسالة القفطان التليدة كفن راقي من فنون العيش، فنا يجتهد اليوم فنانون شباب، بطرق حديثة، في تخليده، وتنويعه وإدخاله عالم الخياطة الراقية كأيقونة تحتفي بها أشهر دور الموضة وعرض الأزياء في العالم

منذ دخوله إلى المغرب في القرن 16، لم يتحجر القفطان كلباس في شكل معين، أو نمط مكلس. بل وعلى العكس من ذلك لم يفتأ يغتنى بالموثرات الشرقية، التركية والأندلسية وبعض الرسومات الأمازيغية وبقي في كل مرة انعكاسا لعصره ومتطورا حسب مقتضيات تشكله، ودأب فنانون شبابا، رجالا ونساء، على ابتداع القفطان بملامح حديثة وأنيقة، وذلك بإدخال مواد جديدة على هذه الصناعة

يعتبر القفطان من أكثر أنواع اللباس التقليدي شهرة وذيوعا. يُقد هذا اللباس الحضري من أفر الثياب وأجودها حياكة، مثل التافطة، الحرير، الكاشمير والمخمل.... بعد اختيار الثوب يسلم لصانعة تقليدية تسمى الطرازة. هذه الأخيرة تشتغل عليه مقيمة توشيات مثبتة بخيوط من ذهب وفضة وحرير، توشيات تحاكي الطبيعة أو الزخرفة العربية. بعدها، يأتي دور المعلم صاحب القيطان الذي يتولى تزيينه بصفائر ومجادل قبل أن يعمل على تقويته بتطبين من الحرير أو القطن. وغالبا ما يعتمد في اختيار لون التطبين على اختيار لون يتكامل مع لون القفطان أو مستعيذا للون من ألوان الطرز أو القيطان المستخدمة في عناصره. وهو ما يضيف إلى هينته بهاء ورونقا

وبذلك بقي القفطان شاهدا على أناقة ورقة الحضارات التي شهدت نشأته، سواء تحت سماء بغداد، دمشق، قرطبة، غرناطة، أو مراكش وفاس وسلا. وظل فن اللباس هذا بوتقة تنصهر فيها جميع من الفنون والحرف. ابتداء بالنساجين الذين يصنعون في دكاكينهم الثياب